مجلة الإحياء، المجلد: 23، العدد: 32، جانفي 2023، ص - ص: 743 – 752
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

تطور العلاقات الاقتصادية بين إيالة الجزائر وتونس في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر

The development of economic relations between Algeria and Tunisia in the late eighteenth and early nineteenth centuries

طالب الدكتوراه حمة دبايلية[1] **أ.د/ إبراهيم السعداوي**
جامعة منوبة – تونس
debailiahamma86@gmail.com saadaoui.ibrahim.muhammed.tn@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/06/16 **تاريخ القبول: 2023/01/06**

الملخص:
تتناول هذه الورقة البحثية العلاقات الاقتصادية بين إيالة الجزائر وتونس التي كانت تخضع للعلاقات السياسية، إلا أن العلاقة بين الشعبين حالت دون أن تظهر آثار الخلافات السياسية على التواصل الاقتصادي وقدمت نموذجا رائعا عن مدى الترابط والتآزر بين الشعبين، وقد كان أساس هذا التعامل الاقتصادي هو القوافل البرية وانحصر دور السلطات الجزائرية في جمع الضرائب والرسوم الجمركية، وإن مثل هذه العلاقات زادت من الثقة والاستقرار والأمان الاجتماعي والثقافي والاقتصادي بين الشعبين، فأصبحت معبرا آمنا رغم شساعة المساحة وقساوة الطبيعة لجميع القوافل التجارية، وقد ساهمت بشكل كبير في انتشار وتنشيط الحركة التجارية في شمال إفريقيا برا وبحرا.
الكلمات المفتاحية: العلاقات الاقتصادية؛ الجزائر وتونس؛ القوافل التجارية؛ شمال إفريقيا.

Abstract:
This study concluded that the economic relations between the two countries were subject to political relations, but the relationship between the two peoples prevented the effects of political differences on economic communication and provided a great example of the interdependence and synergy between the people, and the basis of this economic dealing was land convoys and the role of the Algerian authorities in collecting taxes and customs duties was limited, and such relations increased confidence, stability and social, cultural and economic security between the two countries, and became a safe crossing point despite the vast area and harsh nature of all commercial convoys, It has contributed significantly to the spread and revitalization of business in North Africa by land and sea.
Key words: the economic relations; Algeria and Tunisia; commercial convoys; in North Africa.

[1]- المرسل المؤلف.

مقدمة:

عرفت العلاقات الاقتصادية بين الشعبين الجزائري والتونسي ترابطا وتواصلا دائم وقائم بين الشعبين بالرغم من كل النزاعات السياسية، فتلك المواجهات والتوترات التي كانت تقوم بين حكامهما لم تقف حائلا وعائقا في وجه وإرادة شعبيهما في إثبات صلة التواصل بينهما عبر المجال الاقتصادي الحيوي.

وبناء على ما سبق تبرز معالم الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة بما يلي:

- ما طبيعة ومسار العلاقات الاقتصادية بين إيالة الجزائر وتونس في أواخر العهد العثماني؟

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في التعرف على تطور ومسار العلاقات الاقتصادية التي كانت قائمة بين لشعب الجزائري وتونسي أو ما يسمى بطريقة المقايضة، وكذلك معرفة أهم التعاملات وأنواع البضائع المسوقة التي تبرز لنا حقيقة التواصل والترابط القائم بين الشعبين بالرغم من الصراعات السياسية القائمة في فترة الحكم العثماني.

العلاقات الاقتصادية:

أ- في المجال التجاري: إن موقع المنطقتين المنفتح على البحر المتوسط، وعلى القارات الثلاث، قد عرف حركة تجارية دؤوبة بين ضفافه، وتصب فيه مختلف السلع والبضائع خاصة بعد ازدهار التجارة الأوروبية مع المشرق[1].

فالموقع الجغرافي الممتاز لمدينتي الجزائر وتونس قد ساعدهما على التحكم في جزء واسع من الحوض الغربي للبحر المتوسط وأجزاء واسعة من حوضه الشرق[2].

فمدينة الجزائر تقع على نقطة الوسط للطريق البحري الواصل بين بنزرت وجبل طارق، وتبعد جزيرة مايوركا[3]، وقد كان لهذا الموقع أثر كبير على الحوادث التاريخية خلال العهد العثماني، والذي كان نقطة انطلاق لأشهر الحملات الإسبانية على مدينتي الجزائر وتونس من السواحل الشرقية لشبه الجزيرة إيبيريا[4].

إن موقع مدينة الجزائر ساعد على الاشتغال في البحر، حيث مكنها من مراقبة | الخطوط الملاحية الرئيسية الرابطة بين جبل طارق من الغرب ومضيق تونس صقلية من الشرق[5]، فقد أصبحت مدينة الجزائر بمثابة رمز حقيقي لقاعدة الطليعة العثمانية التي أقيمت في مواجهة البلدان المسيحية[6]، أما مدينة تونس فتقع على الطريق الجنوبي من مضيق صقلية[7]، ومن خلال الموقع الجغرافي لمدينتي الجزائر وتونس يظهر التكامل بين خطوط الاتصال البحري بينهما، وهذا خلق صلات تجارية نشيطة بين المركزين الجهاديين، وصراعا مستمرا مع أوروبا، وأكسب المراكب الجزائرية والتونسية قوة ومكنتها من الهجوم والانسحاب إلى أقرب مركز جهادي وهي سالمة غانمة[8].

أما خلال القرن 18م قد تضاعف عدد المعاهدات بين المدينتين وفرنسا، حيث تم عقد حوالي ثمان معاهدات مع مدينة الجزائر وإحدى عشرة معاهدة مع تونس، لم تتطرق هذه المعاهدات إلى القرصنة ما عدا معاهدة 16 جانفي 1764 بين فرنسا وتونس، ويرجع ذلك أساسا إلى أن المدينتين قد وجدتا مداخيل جيدة من الرسوم الجمركية التي تدفعها الدول الأوروبية المتعاقدة معها، والتي سدت جزءا كبيرا من مصاريف الإيالتين ووجدت فيها تعويضا ملائما لنشاط القرصنة[9].

خاصة بعد ازدهار التجارة بين مدينتي الجزائر وتونس مع الدول الأوروبية التي كانت تمر بفترة الثورة الصناعية، واتخذت من المغارب مجالا وسوقا لتفريغ منتجاتها، وبالتالي فإن الجهاد البحري كنشاط اقتصادي قد تراجع كثيرا وتفككت دواليب تجاريته بين مراكزه، التي تحولت إلى مجرد أسواق استهلاكية للسلع الأوروبية، وإنه انطلاقا من النصف الثاني من القرن 18 أخذت الأنشطة الاقتصادية للإيالتين تدخل في الأفول التدريجي[10].

تميزت العلاقات التجارية بين مدينتي الجزائر وتونس بضعف المبادلات، ويعود ذلك أساسا لتشابه الإنتاج الزراعي والحيواني وتماثله بين المدينتين باعتبارهما مركزا للإيالتين، فقد كانت كل مدينة مركزا لتجمع مختلف منتجات الإيالة والمتمثلة أساسا في الجلود، القمح، الزيت، الأغنام والأبقار والإبل، وهذا يعود أساسا لتشابه المناخ والتربية والتضاريس[11].

وبناء على ذلك فقد مرت العلاقات السياسية والاقتصادية بين المدينتين خلال الفترة المدروسة بمراحل مد وجزر، خاصة وأن مدينة تونس ظهرت كمركز مهم في المغارب نافس مدينة الجزائر من حيث المكانة السياسية والاقتصادية بالنسبة للأتراك العثمانيين[12].

فقد كانت مدينة تونس أكثر المدن المغاربية استقطابا للتجار المسلمين والمسيحيين على حد سواء، وهذا لما عرف عن حكامها من علاقات جيدة مع الأتراك والمسيحيين، وبالتالي لم يكن الجهاد البحري موردا اقتصاديا أساسيا في اقتصاد المدينة عكس ما كان جاريا في مدينة الجزائر[13].

فقد عمل الأتراك العثمانيون على تفعيل العلاقات التجارية بين المدينتين من خلال الجهاد البحري، وعملوا على كسب ولاء وخدمات القباطنة المسلمين من جميع أطراف البحر المتوسط، وذلك من خلال إذكاء روح الجهاد[14]، وبالرغم من وجود بعض الخلافات التي كانت تحدث بين رياس المدينتين بين الحين والآخر بسبب تضارب المصالح التجارية[15].

إن الجهاد البحري في مدينة تونس لم يكن يعرف تبعية لأسطول الجزائر من حيث العدة والعتاد فحسب، بل تعدى إلى التنظيم الإداري والاستحكامات العسكرية[16].

تعرضت كل من مدينتي الجزائر وتونس طيلة القرن 18م إلى عدة أمراض وأوبئة انتقلت أغلبها عن طريق القوافل والسفن، أضرت بشكل مباشر على الحياة الاقتصادية بالمدينتين، حيث تسببت في هلاك أعداد كبيرة من السكان وأضرار فادحة بالحياة الاقتصادية نتيجة تراجع النشاط التجاري وركوده. ومن الأوبئة والأمراض التي اجتاحت المدينتين عدة مرات مرض الطاعون الذي ضرب مدينة الجزائر عدة مرات[17]، وكذلك مدينة تونس، وكثيرا ما كانت هذه الأمراض تنتقل عن طريق التجار والبحارة المتنقلين بين المدينتين[18]، الأمر الذي أثر سلبا على النشاط البحري القرصني للمدينتين من خلال الشلل المؤقت الذي ضرب الحركة التجارية بين هاذين المركزين الجهاديين[19].

1- المبادلات التجارية بين الجزائر وتونس:

ساهم القرب الجغرافي بين القطرين الجزائري والتونسي دورا في تنشيط حركة التبادل التجاري، وكذا حركة القوافل المستمرة بين الإيالتين الجزائرية والتونسية وهذا ما أدى إلى كثرة التعاملات الاقتصادية والتي غلب عليها طابع المقايضة، حيث وجدت الكثير من السلع الجزائرية طريقها إلى الأسواق التونسية[20].

إن انتصارات الجزائر المتتالية على تونس جعلها ترمي الرعب في نفوس حكامها وأهاليها، ونجاحها في التدخلات السياسية وتنصيب حلفائها على عرش تونس، ودعمهم عسكريا كان شريطة امتيازات اقتصادية وتسهيلات تجارية لأرباب العمل الجزائريين خاصة في الفترة الممتدة بين 1756-1807[21].

كانت التجارة الخارجية للجزائر البرية والبحري تحت رقابة الديوان، إذ كان الداي هو المحدد للمواد التي تصدر وتستورد، ولم يكن يسمح لأصحاب القوافل المتنقلة بالعبور حتى يتم دفع الرسوم الجمركية وكذا بالنسبة للموانئ وتمثلت الصادرات الجزائرية عن طريق البر لكل من الإيالة التونسية وإيالة طرابلس في رؤوس الأنعام من بقر وغنم وإبل، والمراسلات بين الإيالتين دالة على ذلك[22].

وقد تحسنت التجارة الخارجية للجزائر بتحسن العلاقات السياسية مع الدول (الولايات المتحدة، إسبانيا)، كما ساهم الجهاد البحري في المبادلات التجارية بين الجزائر وتونس حيث كان الاتفاق السائر بين بحارة الجزائر وبحارة تونس واتحادهم له تأثير كبير على العلاقات التجارية للبلدين[23].

كان البحارة الجزائريين بالاشتراك مع بحارة تونس يستولون على السفن التي كانت تعبر البحر الأبيض المتوسط، ويتم تقاسم الغنائم بين البلدين[24]، والحملات المشتركة للأسطولين الجزائري والتونسي سواء كانت ناجحة أو فاشلة، فهي مظهر من مظاهر التبادل التجاري بين الإيالتين ليس فقط من خلال اقتسام الغنائم وإنما تمثلت هذه الحملات في بعدها التجاري أو ما يعرف في اقتصاد اليوم الشركات المساهمة[25].

أما فيما يتعلق بالنشاط التجاري على المستوى الشعبي، فقد أخذت منطقة بايلك الشرق قسنطينة حصة الأسد في صلات الإيالة الجزائرية التجارية بتونس، وذلك راجع للتقارب الكبير بين قسنطينة والإيالة التونسية وانفتاح حدودها على الغرب التونسي، وكذا ولاؤها للصلات التاريخية التي كانت موجودة إبان العهد الحفصي إذ كانت قسنطينة خاضعة للحكم التونسي[26].

الشيء الذي يدل على كثافة حجم التواصل الاقتصادي بينهما في هذه الفترة، وهو ما سيجعل دراستنا مركزة على بايلك الشرق خاصة في نشاطه الاقتصادي مع تونس، القائم على تجارة القوافل التي كانت تنشط من تجارة الموانئ التي تسيطر عليها المبادلات الأوروبية، وكان رأس المال المستعمل فيها يبلغ 3 ملايين، وتجارة القوافل مع تونس وحدها تستعمل ستة ملايين[27].

كانت القوافل بين قسنطينة وتونس تنطلق من مراكز أساسية وتعود إليها مجددا أهمها: إقليم الشرق الجزائري قسنطينة بما يضمه من مدن من الجنوب الجزائري تدخل ضمن إطاره الإقليمي كمدينة الوادي، وتوقرت، وورقلة. وكانت هذه المراكز وما يقابلها في تونس على درجة عالية من الدقة والتنظيم، حيث كان التاجر يجد يوميا قافلة يسافر معها ذهابا وإيابا، فكانت القوافل المتجهة من بايلك الشرق إلى تونس تحمل الصادرات التالية: التمور من مدينة الوادي والتبغ بنوعيه الرطب والقوي الذي يعتبر من أهم المحاصيل التجارية التي كانت تصدر بشكل كبير إلى تونس وليبيا[28].

وكذا المنتوجات الصوفية من برانس وجبب صوفية والتي كان لها رواج في السوق التونسية[29]، وكذا الجلود المدبوغة والشواشي الجزائرية التي كانت تحظى بطلب كبير للاستعمال اليومي، كونها أرخص من الشواشي التونسية ذات الجودة العالية، وكذا الحديد الصلب والسمن والجوز، وحظيت تونس كذلك بتجارة نشطة في إقليم بايلك الشرق الجزائري أدى إلى منافسة العملة التونسية للعملات

المتداولة في الجزائر، وقد سيطر الريال التونسي على التعامل النقدي في قسنطينة، وذلك راجع لأن الاقتصاد التونسي قائما أساسا على التجارة وليس على الجهاد البحري على غرار ما كان حاصلا بمدينة الجزائر[30].

شهدت تونس تجارة متطورة فيما يخص المرجان ، والحبوب، الخضر، الصوف والإسفنج مقابل استيرادها للمواد التي يحتاجونها السكان كالقهوة والسكر والتوابل من إسبانيا بالإضافة إلى استيراد القماش من هولندا ومالطا[31]، ووجدت بقسنطينة أسواق محلية تجتمع فيها مختلف القبائل وتجار القوافل بين الإيالتين يسمح فيها بعرض البضائع والسلع أيام معينة من الأسبوع، ومن أهم المنتوجات التي كانت تعرض في هذه الأسواق هي المواد العطرية والعقاقير والأدوية والأسلحة والأقمشة الحريرية، الكبريت[32]، الخيوط المذهبة، مستلزمات الأعراس والتجهيز المنزلي كما تضمنت أيضا الأقمشة والزرابي والجلود المدبوغة والبلاغي (جمع بلغة: حذاء جلدي)[33].

2- العملات والأسواق التجارية بين الجزائر وتونس:

خصصت أسواق في كلتا الإيالتين لعرض البضائع والسلع التونسية والجزائرية من بين هذه الأسواق[34]، سوق قسنطينة: وهو أكبر الأسواق يتوافد إليه التجار والقوافل من كل البقاع يحملون معهم مصنوعاتهم وأشغالهم اليدوية لبيعها وكذلك تصديرها للبلدان المجاورة لإيالة تونس، وقد ساهمت قسنطينة في تنشيط التبادل التجاري وتعزيزه وتشجيع النشاط الداخلي والخارجي[35].

سوق ورقلة: محطة للقوافل التي تعبر الصحراء وملتقى التجار إذ تربط أقاليم المغرب بالنيل والمشرق وأقطار من السودان، وقد كان تجار تونس يتوافدون إليها من أجل عرض واستبدال بضائعهم بالسلع والبضائع التي تأتي بها القوافل الوافدة من السودان[36].

سوق واد سوف: كان بدوره وجهة للتجار من مختلف الجهات وقد كان يشمل الكثير من الحوانيت التي اشتهرت ببيع التمور والتبغ، كما اشتهرت بصناعة المضلات من النخيل والأقمشة الصوفية وقد كانت هذه السوق همزة وصل بين الشمال والجنوب[37].

سوق توقرت: ساعده في نشاطه التجاري توفر شبكة المواصلات والطرق إذ كانت منطقة واد ريغ تقوم بإنتاج التمور والأقمشة الصوفية العادية، وكان تجار هذه السوق يحملون بضائعهم إلى الجنوب التونسي لبيعها أو استبدالها بالأقمشة القطنية والعطور المستوردة من البلدان الأوروبية وقد كانت القوافل بين مدينة توقرت والجنوب التونسي تسير بشكل يومي ذهابا وإيابا[38].

سوق عنابة: قال وليام سبنسر: "بأن عنابة لم تحقق اكتفاء ذاتيا لإنتاجها للحليب والزبدة فقط، بل تعدته إلى تسويق هاته المواد لكل من مدينة تونس وجربة..."[39].

كانت الأسواق التونسية تسمى على حسب السلع المعروضة فيها: كسوق العطارين وسوق القماشين وسوق الصاغة وسوق الغزل وسوق باعة الشمع وسوق العرافين التي اصطفت معظمها حول الجامع الأعظم الذي يمثل قلب المدينة الحقيقية، أما الأسواق المنتشرة في أنحاء المدينة هو سوق العطارين الذي اشتهر ببيع العطور والياسمين والورود والعنبر والحنة، وكذا سوق الترك وسوق الفكة جنوب المدينة[40]. وتعتبر كل هذه الأسواق مغطاة في مأمن من الشمس والمطر.

سوق البلاغجية: تخصصت هذه الأسواق منذ نشأتها في صنع البلغة والكنطرة "أحذية تقليدية."

سوق الباي: سميت بهذا الاسم لأنها تقع بجوار دار الباي مختصة في تجارة السجاد والأقمشة الحريرية والمجوهرات والمعادن الثمينة.

سوق القرانة: سوق للذين هاجروا من الأندلس إلى تونس يصدر المنتوجات الزراعية والمصنوعات التقليدية مثل الأغطية والشاشية عبر القوافل الصحراوية[41].

تتعامل هذه المبادلات بعملات عديدة كانت متداولة في كل من الجزائر وتونس أوائل القرن الثامن عشر أهم هذه العملات: الزياني، الدرهم، الدينار، الضبلون، الصارمة، الريال السلطاني وغيرها. وقد شاع استعمال الريال والبياستر في المعاملات التجارية القرصنية وخاصة في الجهاد البحري لمدينتي الجزائر وتونس[42]، حيث كانت هاتين العملات ذات رواج كبير في المبادلات التجارية وقابلة للتصريف في مناطق البحر المتوسط[43]، كما هناك عملات أخرى للتعاملات التجارية كالمحبوب، السلطاني والناصري، وتعتبر معظم هذه العملات عملات فضية[44].

ب- المجال الصناعي: تمثلت الصناعة في كل من الإيالتين التونسية والجزائرية في الحرف اليدوية إذ كانت هذه الحرف تحت إشراف مراقب يدعي الأمين، وتمثلت الحرف في هيئات أصحابها يشكلونها إذ تختص كل هيئة في حرفة معينة ومنها التجارة وحرفة السراجة[45]، ومن الصناعات التي ساهمت بدورا أساسيا خلال القرن الثامن عشر في كل من الاقتصاد التونسي والجزائري هي الصناعة الجلدية وتجلت في حرفة الحداعين، كما وجد القشاشون، وهم بائعو الملابس المختلفة، القوافة يعرضون الخضر والفواكه، والجلابون كانوا يبيعون الحيوانات مثل البغال والحمير التي تجلب من كل مناطق البلاد[46]، وكذا حرفة النجارة التي كان يمارسها النجارون حيث كانوا يشترون الخشب من الأوراس ومناطق القبائل والحدادون ينتجون مختلف الصناعات الحديدية وكما ازدهرت صناعة الأواني النحاسية عن طريق السفارين.

وكذا صناعة معدن القصدير التي احتكرها اليهود خاصة، كما عرفت هذه المناطق صناعة البنادق والبطاريات على يد التشاقماجية، وصناعة خشب البنادق، وصناعة قطع الحديد للبغال والخيل والحمير، كما اشتهرت الإيالتين بصناعة السراجة والخرازة الخاصة بالأحذية والبشماقية لصانعي البشامق، بالإضافة إلى الحرف العامة كالبناء، الكواوشة - الخباز) والصوابني والدخاخنية المختصين في بيع التبغ، القهواجية والطبخ والحلواجية وحرفة الكنافة التي تتمثل في نظافة المدينة[47].

وقد كانت الحرف في كلتا الإيالتين لا تكاد تختلف حيث تشابهت الصناعات بين تونس والجزائر وأبرز الصناعات التي ظهرت هي الصناعة اليدوية إذ تواجدت في الإيالة التونسية في مكان يدعى باب السوقية، الذي امتد إلى غاية الرواية السلمانية، تجمعت دكاكين العارضة للبضائع والسلع دكان تلوى الآخر حول المدينة العتيقة وتجمع الحدادون عند باب الحديد والسروجية عند باب المنارة، أما الصباغون كانوا داخل باب الجزيرة[48].

ج- المجال الزراعي: حظيت الزراعة باهتمام كبير إبان القرن الثامن عشر خاصة إيالة الجزائر التي كانت تمتاز بمناخ معتدل وأراضي صالحة للزراعة، إذ اعتبرت من أوائل المنتجين للقمح عالميا في

هاته الفترة، فكان يصدر قمح الجزائر لجميع دول أوروبا وكان يستخدم في صناعة العجائن[49]، وكذا زراعة الأرز بضواحي الجزائر حيث وصل الإنتاج إلى ستة آلاف قنطار سنويا[50]، كما اهتمت إيالة الجزائر بزراعة التبغ الذي كان يصدر إلى كل من إيالة تونس وطرابلس والسودان، وقد كان لها نسبة من إنتاج الكروم وبيعها على شكل فواكه أو على شكل نبيذ وخل، حيث ثمن القنطار من العنب ربع سلطاني[51]، والحمضيات التي تواجدت في غرب إيالة الجزائر ومارس سكان الإيالة زراعة الكتان واستخراج الملح من سبخات البلدية، كما ازدهرت في زراعة القطن وتربية ديدان الحرير، أدى توفير وتطوير الوسائل اللازمة للمزارعين، ومد الأراضي الزراعية بقنوات الري واستغلالها في الزراعة، إلى النهوض بالقطاع الفلاحي في الجزائر، ووفرة الإنتاج الزراعي إلى درجة تحقيق الاكتفاء الذاتي للإيالة وتصدير الباقي أو ادخاره[52].

كانت الفلاحة الجزائرية تقليدية بدائية اعتمد فيها على أدوات يجرها البقر والحمير والجمال، كما جلبوا مياه الأودية إلى مناطق جبلية واستغلالها في سقي أراضيهم الزراعية ومما ساهم في تحسين أوضاع الفلاحة، اعتماد المزارعين على وسائل وأدوات صناعية بسيطة آنذاك.

كانت تونس تشكو تأخرا في العمل الزراعي الذي كان ينفذ بأساليب وأدوات عتيقة، حيث لم يتقن الفلاح التونسي كيفية العناية الصحيحة بمنتوجاته الزراعية وأشجاره ورغم الأراضي الخصبة والمراعي الجيدة، إلا أن كمية الأمطار المتغيرة والمتذبذبة كان لها دور أساسي وتأثير فعال على المنتوج الزراعي، فكان انهمارها يعني بحبوحة في العيش. وشحها أو انعدامها يفضي أحيانا إلى مجاعات[53]، إضافة إلى الأمراض والأوبئة التي كانت تفتك بالبلاد.

ففي عهد أحمد باي بسبب نقص فادح في عدد السكان نتج عنه تقلص في مساحات الأراضي المزروعة وفضلا عن الوضع الطبيعي، كان ثقل النظام الضريبي أحد العوامل الرئيسية التي عطلت تطور الفلاحة والمجتمع الفلاحي عموما، وأسهم في نفس الوقت بتدعيم القياد وكبار الأعيان على حساب الفلاح البسيط الذي أهمل أرضه ولم يعد يزرعها. فأوشكت الزراعة أن تختفي فأصبحت الأراضي الزراعية مجرد مراع للدواب[54].

خاتمة:

نستنتج أن العلاقات بين الإيالتين قد وصلت إلى حد كبير في عدة ميادين وأشهرها على الإطلاق المجال الاقتصادي حيث تلخصت في عدة نقاط أهمها:

- تمثلت العلاقات الاقتصادية بين البلدين في المبادلات التجارية بين الأفراد والدول إذ كانت تونس على علاقة دائمة ومستمرة عن طريق القوافل والمبادلات التجارية مع الجزائر وقسنطينة؛
- شكل التواصل الاقتصادي نموذجا رائعا عن مدى الترابط والتآزر بين الشعبين وتمثل ذلك في التعاون التجاري ونقل البضائع والمنتوجات الفلاحية المتنوعة والمنتوجات الصناعية الحرفية.
- عرفت كلا من مدينة تونس والجزائر في أواخر القرن الثامن عشر عدة أمراض وأوبئة مثل الطاعون مما أثر سلبا علي الحالة الاقتصادية بسبب التناقص التجاري مع بعض الدول الأوربية.

- شهدت كل من الإيالتين علاقات تجارية وترويج السلع في الصحراء الكبرى وبلاد السودان الغربي بإفريقيا جنوب الصحراء عبر القوافل التجارية القادمة من تونس وقسنطينة ثم بسكرة والواد وتوقرت وورقلة ثم تدخل أراضي جنوب الصحراء الكبرى باستيراد عدة منتوجات أهمها: المحاصيل الاستوائية والعاج والتبر وجلود الحيوانات وبيض النعام....
- استعملت إيالة الجزائر وتونس في المبادلات التجارية عدة عملات مشتركة في التجارة في ما بينهما مثل: الزياني، الدرهم، الدينار، الضبلون، الصارمة، الريال السلطاني والمحبوب والناصري....
- ازدهرت تجارة الحرف اليدوية ما بين الإيالتين وتمثلت في عدة منتوجات أهمها: التبغ والكتان والحرير وصناعة الأحذية والسروج مما ساهم في تطوير التجارة ما بين الإيالتين وأثر إيجابا على المجتمعين الجزائري والتونسي.
- نستخلص من هذا البحث أن العلاقات الاقتصادية ما بين إيالة الجزائر وتونس كان لها عدة أبعاد ونتائج إذ ساهمت في التواصل التجاري الاقتصادي ما بين الإيالتين ووحدت الترابط الاجتماعي عبر هذه المبادلات وساهمت في الاكتفاء الذاتي وتنوع المنتوج الغذائي لسكان ووحدت العملات التجارية مما ساعد على تمتين العلاقات ما بين الشعبين الشقيقين الجزائري والتونسي في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر.

الهوامش:

[1]- عاطف عيد، قصة وتاريخ الحضارات العربية، تونس، الجزائر، INT 1998-1999، Edition CNPS، ص: 08.

[2]- كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، د.ط، بيت الحكمة، الجزائر، 2008، ص: 131.

[3]- مايوركا: هي إحدى جزر البليار بحوالي 300 كم عن ميناء مدينة الجزائر، وأقرب رأس من اليابس الأوروبي إليها هو رأس دولانا بشبه الجزيرة الإيبيرية والتي تبدو محتضنة للطرف الغربي من الحوض الغربي للبحر المتوسط، ينظر: عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط 01، المطبعة الأولى، دار النهضة لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص: 39.

[4]- المرجع نفسه، ص: 39.

[5]- نفسه، ص: 40.

[6]- عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط 01، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1989، ص: 18.

[7]- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم الدكتور عبد القادر زيادية، دار الفضة للنشر، الجزائر، 2006، ص: 17.

[8]- المصدر نفسه، ص: 50.

[9]- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514م-1830م)، ط 02، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص: 208.

[10]- يحي بوعزيز، موجز تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج 02، 2007، ص: 241.

[11]- Venture de Paradi, Tunis et Alger au XVIIIe siècle, Mémoires et observations rassemblés par Joseph Cuoq, Paris, Sind Bad, 1983, p17.

[12]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 241.

[13]- وليام سبنسر، المصدر السابق، ص: 11.

[14]- المصدر نفسه، ص: 12

[15]- عثر بالقنصلية الفرنسية بتونس على وثائق تشير إلى نزاع تجاري حدث سنة 1624م بين أحد رياس البحر الجزائريين ومراد جينوقيزي من رياس تونس، ينظر: المنور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، ج 02، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص: 286.

[16]- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تق: أحمد توفيق المدني، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص: 96.

[17]- ابن أبي دينار، مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمية، ط 01، 1986، المرجع السابق، ص: 230.

[18]- مذكرات أحمد الزهار، المصدر السابق، ص: 96.

[19]- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص: 150.

[20]- عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب من القرن العاشر هجري إلى القرن السادس عشر ميلادي، د.ط، دار الأمل للنشر والتوزيع، 2008، ج 02، ص: 104.

[21]- ابن أبي دينار، المرجع السابق، ص: 235.

[22]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص: 402.

[23]- جون وولف، "رياس البحر"، مجلة الدراسات التاريخية، ترجمة أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، العدد 03، 1987، ص: 592.

[24]- المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، ج 02، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص: 314

[25]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص: 31.

[26]- أحميدة عميراوي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي، د.ط، دار البعث، الجزائر، د.س.ن، ص: 12.

[27]- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، د.ط، دار هومة، الجزائر، 2005، ص: 144.

[28]- محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص: 49.

[29]- أحمد بن الطاهر منصوري: الدر المرصوف في تاريخ سوف، دار الهدى، د.م.ن، د.س.ن، ص: 52.

[30]- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية في الشرق الجزائري، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س.ن، ص: 150.

[31]- Venture de paradis, op.cit, P: 99.

[32]- محمد العربي الزيري، المرجع السابق، ص: 150.

[33]- نقولا زيادة: إفريقيات، دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، د.ط، الأهلية للنشر، لبنان، 2002، ص: 56.

[34]- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 160.

[35]- محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم: رابح بونار، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص: 81.

[36]- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربة للواقع الجزائر من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، د.ط، عالم المعرفة، الجزائر، 2008، ص: 46.

[37]- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 155.

[38]- محمد العربي الزبيري، المرجع نفسه، ص ص: 156-157.

[39]- وليام سبسنر، المصدر السابق، ص: 140.

[40]- Joseph Fabre, Essaisun la régence de Tunis, Seguin frères imprimeurs, Avignon, 1881, P: 53.

[41]- ابن أبي دينار، المرجع السابق، ص: 236.

[42]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 205.

[43]- محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب محمد الشاوش، محمد عجينة، ط 03، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 73.

[44]- محمد الهادي الشريف، المرجع انفسه، ص: 73.

[45]- حرفة السراجة: تخصصت لصناعة أسرجة الخيل المطرزة من الذهب والفضة المستوردة من تونس، وحقائب المسافرين، أحزمة الأسلحة والنماق (نوع من الأحذية تصل إلى الركبة) واعتبرت من الحرف النبيلة يصنع ويوجه إلى الجيش وإلى الداي، أنظر: Mahfoud Kadache, L'Algérie durant la période Ottomane, 1991, p: 74.

[46]- L. Charles Feraud, les corporations de métier a Constantine avant la conquête Française, in RA, N 16, 1872, p: 451.

[47]- Venture de paradis, opt. cit, p: 100.

[48]- Joseph Fabre, opt. cit, p: 52.

[49]- Venture de Paradis, opt. cit, p: 126.

[50]- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 59.

[51]- بلغ سعره في النصف الثاني من القرن الثامن عشر 2 مزون للرطل بالنسبة للتبغ العادي و3 موزون للرطل للتبغ الرفيع الخاص بالحكام، أنظر: Venture de paradis, opt.cit, p: 128.

[52]- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 59.

[53]- ابن أبي الضياف، ج 041، المرجع السابق، ص: 146. ج 02، الدار التونسية والشركة التونسية للنشر والتوزيع، ط 02.

[54]- حسين جبار إبراهيم، إيالة تونس في عهد أحمد باشا باي، دراسة تاريخية، مجلة مستقبل العربي، العدد 464، ص: 09.